

الصحة الإسلامية

وكيف نحافظ عليها

منتدى اقرأ الثقافي

www.igra.ahlamentada.com

عوض بن محمد القرني

دار الجمع للنشر والتوزيع

الصَّحْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَكَيْفَ نَحَافِظُ عَلَيْهَا

عَوُضُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقُرْنِي

جميع الحقوق محفوظة

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

الطبعة الأولى

دار البع
للنشر والتوزيع

جدة ميدان الجامعة - ص.ب ٤٠٨٤٥ جدة ٢١٥١١

الإدارة : ٦٨٩١٤١٧

تليفون : المكتبة : ٦٨٩٤٤٦١

فاكس : ٦٨٩٤١٤٤

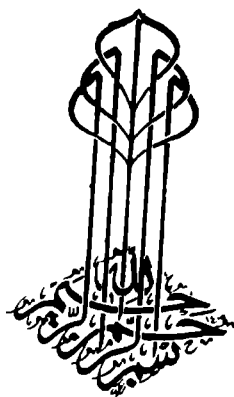
الخبر شارع الأمير نايف - ص.ب ٢٣٢١ الخبر ٣١٩٥٢

تليفون : ٨٩٤١١٣٦

المدينة المنورة شارع الستين - ص.ب ٢٠٢٤٢

تليفون : ٨٣٨٨٢٩٢

فاكس : ٨٣٨٨٢٩٧



تمجیل صوتي لها ، فنسختها منه ، وقررت طباعتها ، ورأيت
أن يكون عنوانها الأليق بها :

« الصحوة الإسلامية وكيف نحافظ عليها »

استجابة لرغبة هؤلاء الإخوة ، ورجاء أن ينفع الله بها
مسلماً ويكتب لي بها أجراً .

وأسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل ، إنه
ولي ذلك والقادر عليه .

عوض بن محمد القرني

أيها الأحبة في الله : إن موضوع الصحوة الإسلامية المعاصرة من الموضوعات التي يجدر بطلبة العلم والدعاة والمسلمين عموماً أن يتحدثوا عنها ، خاصة في مثل هذه الأيام .

فالعالم كله يعيش — والحمد لله — ظاهرة واضحة جليلة بينة في عودة الناس إلى ظلال الإيمان ، وأفياء الهدى ، ورحاب الدين ، الدين السماوي الحق ، الذي جاء به محمد ﷺ ، والناس ما بين مستبشر بهذه العودة والإقبال ، قد يبالغ فيعطيا أكثر من حقها ، وما بين منكر ومحارب ومحادّ لها ، وأجدر الناس بمعرفة الأمر على حقيقته هم دعاة الإسلام ، وشباب الإسلام ، الذين يعلمون أن الله سبحانه وتعالى قد كلفهم برسالة في هذه الحياة ، وأن هذا الإقبال الذي يتحدث عنه القاصي والداني — قبولاً أو رفضاً ، تأييداً أو رداً — إنما هو في النهاية شيء مما وعد به الله المؤمنين ، من النصر والتمكين والعلو والظهور في هذه الحياة . فلنحاول في هذه الدقائق أو في هذه اللحظات أن نلقي شيئاً من الضوء على هذه القضية المهمة ، مؤصلين ذلك قدر الإمكان تأصيلاً شرعياً ، يستدل ويستضيء ويستنير بهدى الكتاب والسنة .

ثم نحاول — أيها الأخبة في الله — بعد ذلك أن نتلمس خطانا في هذا الطريق ، وأن نتجنب المزالق التي قد يضعها في طريقنا أعداؤنا من شياطين الإنس أو من شياطين الجن ، الذين يبدلون جهودهم الحثيثة من أجل الحيلولة بين الإسلام والمسلمين .

حديث القرآن عن الصحوة :

إن هذه القضية — أيها الإخوة الأخبة في الله — ليست من القضايا الجديدة على حس المسلمين ، فإن التالي لكتاب الله سبحانه وتعالى ، والمتبع لهدي نبيه ﷺ على وعد من الله سبحانه وتعالى بأن هذا الدين سيبقى ظاهراً منتصراً ، وإذا ظن الناس في بعض الأزمنة ، أو في بعض الدهور أن شأنه قد انتهى ، وأن دوره قد انقضى ، فما ذاك إلا إرهابات لدور جديد يبدأه هذا الدين في هذه الحياة .

يحدثنا عن ذلك كتاب الله سبحانه وتعالى فيقول :

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (١)

(١) التوبة : ٣٣ .

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٣٢) (١).

فهذا الدين مبدؤه من الله سبحانه وتعالى ، هو الذي شرعه ، وهو الذين أنزله ، وهو الذي كلف به البشر ، وهو الذي أتمه — سبحانه وتعالى — وليس للأنبياء والمرسلين إلا دور التبليغ والبيان ، والإيضاح ، أما مصدر هذا الدين العظيم فهو فاطر الأرض والسموات .

وإذا استمد غير المسلمين توجيهاتهم وعقائدهم وأفكارهم وتصوراتهم وأنظمة حياتهم من فلسفات بشرية وأنظمة وضعية وقوانين ناقصة محكومة بقصور الإنسان ، الذي لا يتجاوز زمانه ولا مكانه ، فإن المسلمين ينهلون من دين خالد تحدث الله سبحانه وتعالى عنه فقال :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٢) .

(١) التوبة : ٣٢ .

(٢) المائدة : ٣ .

والذي أنزل هذا الدين هو الذي وعد — سبحانه وتعالى — بأنه سيظهره على جميع الأديان ، وعلى جميع المبادئ ، وعلى جميع المناهج ، ظهوراً كاملاً جلياً واضحاً حتى وإن كره ذلك أعداء الإسلام ، حتى وإن خططوا وبذلوا الجهود للحيلولة دون ذلك فلن يغلب الله سبحانه وتعالى أحداً بل الله هو الغالب سبحانه وتعالى .

وتأتى الآيات تؤكد هذا المعنى مرة بعد أخرى ، فيقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ^(١) ويخطر على البال في هذه اللحظات كلمة لأحد علماء الإسلام عندما قال له أحد أحبار اليهود أو النصارى في الأندلس أيام كانت تستظل بظل الإسلام .

يقول : « ألا تزعمون أن التوراة والإنجيل نزلت من الله سبحانه وتعالى ، وتزعمون أن كتابكم نزل من الله سبحانه وتعالى ، قال : بلا . قال : فلماذا جوزتم أن يقع التحريف والتغيير والتبديل في التوراة والإنجيل ، ولم تجوزوا ذلك في الكتاب الذي بين أيديكم ؟ » .

(١) الحجر : ٩ .

فنفكر ذلك العالم المسلم ملياً ثم قال : إن الله سبحانه وتعالى وكل حفظ التوراة والإنجيل إلى البشر ، فهي في أصلها من الله لكنها في حفظها وكلت إلى البشر فجاز عليها نقص البشر ، وتقصير البشر ، فوقع فيها التحريف والتبديل والتغيير . أما قال سبحانه وتعالى : ﴿ بِمَا أَسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴾ (١) الآية .

أما هذا الدين فقد وكل الله حفظه إلى نفسه سبحانه وتعالى . فقال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ الذِّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

إذا أيها الأحبة في الله : فالأمر الذي نلاحظه في هذا الزمن ، والذي أتى بعد أن يئس بعض الناس من عودة الأجيال إلى دين الله ، هو في الحقيقة تأكيد وتحقيق وتنفيذ لوعده رباني ، تكفل الله سبحانه وتعالى به .

يقول الحق سبحانه وتعالى في آية أخرى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي

(١) المائدة : ٤٤ .

أَرْضَنِي لَهُمْ ﴿ (١) الآية .

هذا وعد من الله سبحانه وتعالى ، ربه سبحانه وتعالى
على أمرين فقط : على حصول الإيمان ، والعمل الصالح على
التوجه الصادق إلى الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِن نَّصُرُوا اللَّهَ
يَنْصُرْكُم وَيُخْلِفْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (٢) لا يستدعي الأمر وجود قوى
مادية أخرى ، وإذا كان ذلك ضروري فسييسره الله سبحانه
وتعالى ، ولا يستدعي الأمر زيادة تدبير وتخطيط وتنفيذ إلا ما
يقتضيه مجرد الإيمان والعمل لهذا الدين ، هذا شرط وذاك
جوابه ، هذا وعد وتلك نتيجته ، هذه مقدمة وتلك خاتمها .
إيمان وعمل صالح ، يأتي بعد ذلك الظهور في هذه الأرض
والتمكن لأهله ، ثم يحدثنا القرآن الكريم عن أن هذه سنة كونية
لا تبدل ولا تتخلف ، حصلت في أجيال إثر أجيال ، وستبقى
تحصل ما بقيت الحياة ، وكلما وجد المؤمنون الذين يعملون
الصالحات ، عند ذلك يتحقق لهم وعد الله سبحانه وتعالى .
ويقول سبحانه وتعالى مبينا أن إعراض الناس عن دين

(١) النور : ٥٥ .

(٢) محمد : ٧ .

الله لا يعني أن دين الله قد ضاع ، ولا يعني أن هذا الدين قد انتهى وتلاشى ، إنما الذي يحصل عند إعراض الناس هو خسارتهم وشقاؤهم ، حين يفقدون السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة ، ويفقدون التوفيق الإلهي الرباني في الدنيا والآخرة ، أما دين الله وقد تكفل الله بحفظه فسيبعث الله له أقواماً آخرين يحملونه . يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ (١) .

إذاً — أيها الأحبة في الله — فنحن في أشد الحاجة إلى أن نلتجئ إلى دين الله سبحانه وتعالى ، وليس دين الله هو الذي يحتاج إلينا وإلى جهدنا وجهودنا ، فنحن عندما نعمل ، وعندما نبذل ، وعندما ندعو ، وعندما نجاهد ، وعندما ننفق ، وعندما نقيم حياتنا على مقتضى دين الله ، ليس لأن دين الله في حاجة لنا ، ولكن لأننا نحن في أشد الحاجة إلى دين الله سبحانه وتعالى .

بل يحدثنا القرآن الكريم عن الذين يرددون عن دين الله سبحانه وتعالى فيبين أن الله سبحانه وتعالى سيستبدلهم بقوم

(١) محمد : ٢٨ .

آخرين ، سيأتي الله سبحانه وتعالى بقوم يحبهم ويحبونه ، والله سبحانه وتعالى هو الذي نقل الرسالات من أمة إلى أمة ، أما كانت النبوة والرسالات في بني إسرائيل قبل نبينا ﷺ ، وقد حثنا القرآن في أكثر من موضع أن الله فضلهم وكرمهم على جميع العالمين ، وعندما تولوا — وكان الأنبياء يسوسونهم ويقودون حياتهم — عندما تولوا عن دين الله وأعرضوا عنه لم يكن بينهم وبين الله نسب . كما قال الفاروق لسعد بن أبي وقاص : « يا سعد — سعد بن وهيب — لا يفرئك أن يقال خال رسول الله ﷺ ، فليس بين الله وبين أحد نسب إلا بالتقوى » .

عندما تولوا لعنهم الله سبحانه وتعالى على السنة أنبيائه ، وفي كتبه ، ونقل فضله ونعمته من هذه الأمة إلى أمة أخرى .

وقد حدثنا القرآن كثيراً عن بني إسرائيل ، وحدثنا عن نتيجة بني إسرائيل ، وعن نهاية بني إسرائيل ، حين أعرضوا عن دين الله سبحانه وتعالى ، وذلك ليس عبثاً ، وليس لتزجية الأوقات ، إنما لكي نتعظ ونعتبر ، ولكي نأخذ العبرة والعظة ، ثم تأتي آية الله سبحانه وتعالى العظيمة الباهرة فحينما تعرض

أمة الإسلام عن دين الله ، تُؤدب بهذه الأمة التي حدثت عنها
في كتاب الله كثيراً .

ويأتي اليهود ويحتلون جزءاً من بلاد المسلمين ، ويحتلون
مسرى النبي ﷺ ، ويأخذون أولى القبلتين ، وثالث
الحرمين ، وما كأننا حدثنا عنهم في القرآن ، وهذا تأديب .
لكنه تأديب لمن بقي في قلوبهم ذرة من الإيمان حتى يتيقظوا
ويتنبهوا .

هذه الأمة التي نُحدث عنها كثيراً ، ونُحذر ، ويُبين لنا
حالتها لم تؤدب بأي أمة من الأمم إلا بها هي فقط . لكي نعود
إلى الله سبحانه وتعالى .

ويحدد القرآن الكريم مرة أخرى هذه الحقيقة ، هذه
اليقينية ، هذه السنة الكونية التي لا تتخلف أبداً ، فيقول
سبحانه وتعالى : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ
قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (١) .

إذاً : أيها الأحبة في الله ، هذه الغلبة التي يتحدث عنها

(١) المجادلة : ٢١ .

القرآن الكريم لو أخذت على أنها فقط في حياة الأنبياء والمرسلين لما تحققت الغلبة . كم عاش النبي ﷺ بعد أن نُبيء ؟ ثلاثة وعشرين عاماً . فلو كانت كما يفهمها بعض أهل الفهم الظاهري السطحي البسيط أن هذه الغلبة فقط هي في حياة النبي ﷺ ، لأن الله سبحانه وتعالى بين أن الغلبة له ولرسوله لما تحقق هذا الوعد من الله سبحانه وتعالى . كم هي مدة الرسالة النبوية ، أو مدة حياته في هذه الأرض ؟ بالنسبة لغيره ، لكن الغلبة تتحقق بظهور دينه ورسالته من بعده ظهوراً غالباً أغلبياً في هذه الحياة ، حتى يتحقق فيه وعد الله بأنه هو الغالب وهو الظاهر وهو المسيطر في هذه الحياة ، وهذا الظهور أيها الأحبة ، وهذه الغلبة ، وهذا الوعد من الله سبحانه وتعالى بأن الناس جيلاً بعد جيل سيفيئون إلى دين الله يتحقق بأمرين :

الأمر الأول : ظهور الحجة والبرهان ، أي ظهور الدين في ذاته ظهوراً جلياً ، بأن يعترف أعداء هذا الدين بأنه الحق ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد حصل هذا الاعتراف قديماً وحصل حديثاً ، وسيحصل ما بقي هذا الدين ، وبقيت هذه الحياة .

اعترف به الذين حادوه وجحدوه وقتلوه — اعترفوا

بأنه هو الحق في ذاته ولكن لأهوائهم وشهواتهم ورغباتهم التي سقطوا أمامها وسيطرت عليهم حادوا ونبذوا ما علموا أنه الحق . وها نحن أيها الأحبة ، حتى في زمن ضعف المسلمين ، وفي كل عصر ، نرى الناس يقبلون على دين الله سبحانه وتعالى ، فيتوجه إلى دين الله من بلغوا أعلى التخصصات العلمية ، كما سنرى بعد قليل في زمن يقول الناس فيه : إن العلم هو إله عصرهم وزمانهم ، وإذا بسدنة هذا الصنم الذي نصبه الناس لكي يعبدوه يدخلون في دين الله سبحانه وتعالى ، كما دخل سحرة فرعون وخروا لله سبحانه وتعالى سجداً .

هذا الظهور الأول هو ظهور في ذات الدين ، أي يجعل الناس جميعاً ، أو يجعل من يبحث عن الحقيقة يعترف بأنه الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل ، ولا يخالطه الباطل ، ولا يتطرق إليه الشك ، كما حدثنا الله سبحانه وتعالى عنه وكما بلغه لنا رسوله ﷺ .

والظهور الآخر : هو ظهور أهل هذا الدين بالتمكين في الأرض الذي تحدثت عنه الآية قبل قليل ، والاستخلاف في الأرض ، وقيادة البشرية إلى نور الله سبحانه وتعالى ، وإلى

هدى الله سبحانه وتعالى ، وهذا الكلام ، وهذه الحقيقة التي يحدثنا عنها القرآن الكريم ، ويحدثنا عنها النبي ﷺ — بعد قليل في أحاديث شتى — حصلت مرات ومرات في هذا التاريخ ، ولو أردنا أن نتحدث عن سير الأنبياء والمرسلين مع أمهم وأقوامهم لرأينا العجب العجائب يأتي رجل ضعيف لا يملك شيئاً ويصدع بهذا الدين وبهذا الحق ، ويواجه سلطاناً قوياً قد يدعي الربوبية ، وقد يدعي الألوهية ، يملك الجنود ويملك القوى المادية الرهيبة ، ويواجهه هذا الإنسان الذي لا يملك إلا دعوة الحق يرددها ، ولا يملك إلا أن يدعوهم إلى الدخول في دين الله سبحانه وتعالى . وبجميع المقاييس المادية يحكم الناس بأن الغلبة لذلك السلطان ، معه الجيوش الجرارة ، وراءه الأمم ، تتبعه الحضارات العريقة والأجيال والقوى المادية الرهيبة والسلطان والجيروت ولكن تكون النتيجة في النهاية أن النصر يكون لأنبياء الله سبحانه وتعالى ورسله .

حديث التاريخ عن الصحوة :

وخذوا مثلاً — أي مثلاً من سير الأنبياء والمرسلين ، وخذوا سيرة نبينا محمد ﷺ ، ذلك الرجل الذي كان يسمى

في مجتمعه بالأمين ، ذلك الهادي الوديع ، الذي كان أشد حياءً من العذراء في خدرها ، الذي كان يذهب عن الناس ويختلي بنفسه في الغار ، الرجل الذي لم يكن له صلة قوية بالناس لكي يشارك في أحداث الحياة ، ثم يتنزل عليه هذا الوحي الإلهي - ويخرج لا يملك أي قوة في هذه الحياة إلا أن يقول للناس : قولوا : « لا إله إلا الله » وتقف الدنيا كلها في وجهه هذا الرجل ، يقف في وجهه الأقربون ، ويقف في وجهه الأبعدون ، وتلقى في طريقه جميع التهم ، وتثار جميع العقبات ، يخارب في سمعته ، وينال من عرضه : ساحر ، مجنون ، كاهن ، شاعر ، يفرق بين المرء وزوجه ، ويؤذى في بدنه ، ويؤذى أصحابه ، وهو لا يملك إلا أن يقول لهم : « صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة » ^(١) ومن يتوقع أن هذا الرجل سينتصر وقد خرج في هجرته مشرداً طريداً تبذل الجوائز لمن يأتي برأسه ، وعندما يلتقى بأعراني يبحث عنه لكي ينال مائة ناقة يقول له « كيف بك يا سراقا إذا سورت بسواري كسرى » ^(٢) من الذي يتحدث بهذا ؟ من الذي يقول هذا ؟

(١) سيرة ابن هشام ٣١٥/١ .

(٢) زاد المعاد ٥٣/٢ .

إلا من سكبت في قلبه حقيقة الوحي الإلهي من رب العالمين
فأصبح يرى بنور الله ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (١) وتتدرج الأحداث ، حدث بعد حدث ، ومرة بعد
أخرى ، وإذا بمحمد ﷺ هو صاحب الغلبة ، وهو صاحب
النصر ، وتهاوى تحت أقدام تلاميذه وأصحابه : الحفاة العراة
العالة رعاء الشاء عروش الأكاسرة والقياصرة ، ويعلي الله شأنهم
ويظهر دينهم - لم يأتي ﷺ بحضارة ومدنية جديدة ، لم يقم
المصانع ، ولم يخترع الأسلحة ، ولم يشتري أحدث الأسلحة ،
ولم يقم المزارع والسدود ، أتت هذه كلها بعد ذلك بالتبع ،
أتت تبعاً بعد ذلك ، إنما جاء بهذا الدين وحده ، وأظهر الله
به هذه الأمة ، وبهذا الدين وحده جعلها سيدة الأمم في هذه
الحياة . وتكرر هذا في تاريخ أمته بعده ﷺ ، فحين توفي ﷺ
ولحق بربه ، وظن الناس الذين لم يفهموا القضية فهماً حقيقياً
صادقاً أن الأمر هو أمر محمد ، وقدرة محمد ، وعبقريّة محمد ،
فأجلب كثير من الناس بالردة عن دين الله سبحانه وتعالى ،
ويظهر ذلك الرجل الذي اصطفاه الله بعد نبيه ﷺ ، ويعلن
تلك الكلمة الخالدة « أينقص الدين وأنا حي ؟ والله لأقاتلن

(١) النجم : ٣ ، ٤ .

من فرق بين الصلاة والزكاة » - عبارات كثيرة - « والله لأقاتلنهم ما استمسك سيفي بيدي حتى يظهر الله دينه أو أنفرد بهذه السالفة » أي هذه الرقبة ويعلي الله سبحانه وتعالى دينه مرة أخرى .

ولو أردنا أن نتنقل في التاريخ الإسلامي لرأينا العجب العجاب ، ففي أيام هجمة الصليبيين المنكرة ، بعد أن احتلوا جزءا واسعا من بلاد الشام ، وأصبحوا يفكرون في الوصول إلى الحجاز ، ظهر نور الدين زنكي رحمه الله ، وما كان أقوى الأمراء في زمنه ، ولا أقوى السلاطين ، لكن الحقيقة التي لا يتجادل فيها اثنان من أهل التاريخ أنه كان أصلح الأمراء ، وكان أصلح السلاطين في زمنه عليه رحمة الله - ويكون من ثمرات ذلك السلطان الصالح خروج تلميذ له : هو صلاح الدين الأيوبي رحمه الله فيصفي ذلك الجسم أو ذلك العضو المريض الذي دخل في جسم الأمة المسلمة ، يتر الدولة الفاطمية من أرض مصر ، ثم يتوجه فيحقق الله سبحانه وتعالى على يديه النصر ، ويخرج الصليبيين بعد أن مكثوا أكثر من مائة عام في بلاد الشام .

صلاح الدين الأيوبي لم يفعل شيئا جديداً ، إنما جمع

الناس على كلمة « لا إله إلا الله » وكان قلبه يحترق على دين الله ، كان يقول له جلساؤه : « ما لك لا تبتسم فيقول : « إني لأستحي من الله أن أبتسم ومسرى النبي ﷺ في يد النصارى » .

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وقد جاء في فترة تاريخية سوداء مظلمة في حياة الأمة ، تمزقت الأمة أماً شتى ، وسيطرت عليها البدع التي دخلت من شرق ومن غرب ، وأبعد الناس عن دين الله سبحانه وتعالى ، وابتدأ هذا الرجل يدعو إلى الله سبحانه وتعالى بفعله وبقوله وبكتابه ، وجهاده وعمله ، ويحاول أن يرد الناس إلى دين الله سبحانه وتعالى ، مجرداً من كل قوة إلا من قوة الإيمان والحق الذي يحمله على كاهليه ، ويدعو إليه ، وتنتهي تلك الظلمات ، ويبقى ذلك النور متجدداً ، لقد مات شيخ الإسلام في السجن ضعيفاً مجرداً من كل قوة ، لكن ها هي آثاره بين أيدينا ، وها هم تلاميذه أجيال الإسلام من بعده يتربون على دعوته التي جذدها أمثاله من بعده ، كما جذدها قبله بكثير من أئمة الإسلام .

لو أردنا أن نسأل الناس : من الذي كان يحكم بلاد الشام في أيام ابن تيمية ؟ لما عرف ذلك إلا المتخصصين ، ولو

أردت أن تسأل عوام الناس عن دعوة ابن تيمية وحياته ،
لأجابه عن ذلك — ربما — الأطفال .

إنه الظهور الذي حدثنا الله سبحانه وتعالى عنه والذي
حفظ الله سبحانه به هذا الدين .

هذه أيها الأحبة بعض الأمثلة ، ولو أردنا أن نتحدث
لطال بنا الحديث .

العز بن عبد السلام عليه رحمة الله أحد علماء الإسلام ،
وكان بعد زمن صلاح الدين الأيوبي ، وقبل شيخ الإسلام ابن
تيمية ، لما جاء بعض السلاطين في بلاد الشام ، وتحالف مع
الصليبيين على سلطان مصر — وكلهم من المسلمين سلطان
مصر وسلطان الشام على أن يتنازل لهم عن بعض مدن بلاد
الشام ، فيقوم العز ابن عبد السلام — وله قبل ذلك جهود
معروفة مشكورة في تربية الأمة وردها إلى دين الله — فيقوم
ويخطب في الجامع الأموي ويعلن أن المسلمين لا يجوز لهم أن
يطيعوا هذا الحاكم الذي باع دين الله سبحانه وتعالى ، وباع
أرض المسلمين فيأمر الحاكم باعتقاله ، وعندما يعتقله يرى الناس
وقد ضجوا فيرسل إليه بعض خاصته ، فيعرضون على الشيخ

ويقولون : إن السلطان يرضى منك بنأ تقبل يده أمام العامة ،
ويلقي عنك هذه القيود فيطلقك ، فيقول : الحمد لله الذي
عافانا مما ابتليتم به والله ما أرضى أن يقبل قدمي ، فضلاً عن
أن أقبل أنا كفه . فيضطرون لإطلاقه ويذهب إلى أرض مصر ،
وأول ما ينزل فيها ... وإذا بالخمير يباع علناً في أرض مصر
فيحاول أن يلاقي سلطان مصر فلا يجد إليه طريقاً ، وعندما
يخرج سلطان مصر في موكبهِ يوم العيد أمام الناس وفي زينته ،
وكان لا يجرؤ أحد أن يكلمه ، يقف على قارعة الطريق ، ثم
ينادي بأعلى صوته (يا أيوب) وكان اسم السلطان أيوب ،
يلغي الألقاب كلها ويناديه باسمه مجرداً ، فيقف ذلك السلطان ،
ويسل الحرس سيوفهم ، ويلتفت الناس من هذا الذي تجرأ على
أن ينادي السلطان بهذه الصفة . فيقول له العز بن عبد السلام
مرة أخرى (ماذا تقول لله سبحانه وتعالى إذا لقيته وقد
استخلفك في أرضه ، فعصيته ورضيت أن يباع الخمر في
أرضه ؟) .

فيقول : من هذا ؟ فيقولون : العز بن عبد السلام .
فيقول : لقد كان ذلك من السلطان الذي قبلي . قال : أتقول
كما قال الأولون ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَ نَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِم

مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ (١) قال : وبماذا تأمر يا شيخ ؟ قال : أن تأمر بإزالته في هذا الوقت . فيأمر بإزالته .

ثم يقع مرة أخرى شيء من المنكر فيقوم هذا العالم فينكر على السلطان في مصر ، ويأمره وينهاه فيغلظ له السلطان في القول ، فيأخذ أثاثه على حماره ويخرج ، فتجلب مصر كلها في أثر العز بن عبد السلام — كل قرية تنادي القرية الأخرى وكل حي ينادي الحي الآخر — فيسمع السلطان الجلبة فيقول : ماذا حصل ؟ فيقولون : خرج العز بن عبد السلام بملكك على حماره . فيقول : اذهبوا إليه واسألوه ماذا يريد ؟ قال العز : لن أعود من مكاني هذا قبل أن يغير المنكر الذي في أرض مصر .

العز بن عبد السلام كان من ثمار دعوته ومن تلاميذه المظفر قطز ، الذي هزم الله على يديه التتار ، في موقعة عين جالوت . وقد اكتسحوا العالم الإسلامي من حدود الصين إلى أن وصلوا إلى بلاد الشام . ودمروا المدن وقتلوا الملايين . قتلوا في بغداد وحدها أكثر من مليون ونصف أو من مليونين من

(١) الزخرف : ٢٣ .

المسلمين وانتهت الجيوش الجرارة التي كانت تعد بمئات الألوف ، انتهت إلى بلاد الشام ولقيهم المظفر قطز في جيش من المماليك ، قليل العدد والعدة ، وعندما رأى كأن الهزيمة أصبحت من جيشه قاب قوسين أو أدنى ، وكان في رمضان ، وكان صائماً — تربية إيمانية صادقة ، رباه عليها العز بن عبد السلام قبل ذلك — ما صاح ولا ندب ولا جزع على نفسه وملكه ، إنما جزع على دينه ، فألقى خوذته ، ورمى درعه ، وصاح في الجيش (وا إسلاماه ، وا إسلاماه ، وا إسلاماه) فكان النصر الذي أنزله الله سبحانه وتعالى عليه .

أيها الأحبة هذه بعض الأمثلة التي تحقق لنا ، أو تؤكد لنا إنما وعد الله سبحانه وتعالى به قد وقع في تاريخ أمتنا ، بل وقع في تاريخ الرسالات كلها .

وحينما تعرضت الأمة في القرون المتأخرة لغزو فكري تضليلي تجهيلي رهيب ، وكان هذا هو السبب الذي جعل كثيراً من الناس يستغربون أن يعود الناس مرة أخرى إلى دين الله سبحانه وتعالى .

بسبب هذا الغزو العقائدي الذي تعرضت له الأمة — صحيح أن الصراع بين الحق والباطل موجود ، ما دام أهل

الحق وأهل الباطل ، وصحيح أنه منذ أن وجد محمد ﷺ وتعرض له أعداء الإسلام بالتشويه ، بل الأنبياء والمرسلين قبل ذلك تعرضوا لدعواتهم بالتشويه والتحريف والتغيير والتبديل ، ومحاولة إثارة الشبهات حولهم . لكن في القرون المتأخرة كان الأثر أبلغ .

العامل المؤثر كان موجوداً من بداية تاريخ هذه الأمة . لكن قابلية الأمة للتأثر بهذا الغزو زادت في القرون المتأخرة فظهر أثرها في حياتها . وإلا من منا ينكر ما تعرضت له الأمة في بداية تاريخها بالغزو الكلامي الفلسفي وآثار ذلك التي مازلتنا نحني بعض ثمارها المرة ؟ من ينكر الغزو الصوفي المتأثر بالصوفية الإشرافية من الهند الذي حول الإسلام في نظر كثير من الناس إلى بعض الحركات السلبية التي لا تؤثر في الحياة ، ولا تحاول أن تصل الناس ببرهم ؟ من منا ينكر الإسرائيليات وآثارها المعروفة في تاريخ التشريع حين دخلت في التفسير ؟ من ينكر الوضع في الحديث ؟ هذا كله وجد ، ولكن كانت المناعة لدى الأمة المسلمة قوية ، فما فتكت بها هذه الأمراض ، ولا فتكت فيها هذه الميكروبات ، كما فتكت فيها في القرون المتأخرة .

وكما يقول الأطباء : الجراثيم والميكروبات موجودة في

كل مكان ، لكن ليس كل إنسان يصاب بالمرض ، إنما الجسم الذي تضعف مناعته وقوته هو الذي يصاب بالمرض . وهذا الذي حصل لأمتنا في القرون المتأخرة .

وقد أضيف إلى ما تعرضت له من غزو فكري عقائدي قديم ، صور جديدة من هذا الغزو فكان التغريب ، وكان الاستشراق ، وكان التبشير ، ونتج عن ذلك القومية والعلمانية والشيوعية والحدثة وما شئت أن تقول من مذاهب وأفكار شتى .

وضللت الأجيال عن دين الله سبحانه وتعالى بعيداً . ونفذت من وسائل شتى . نفذت من خلال التعليم وتأثر المسلمون بغيرهم من خلال البعثات ، ومن خلال الإعلام ، من خلال الصحافة ، من خلال المجلات ، من خلال الكتب ، من خلال التأليف ، من خلال مراكز الأبحاث . صور شتى ، بل حتى من خلال العلاج والدواء والمستشفيات ودور الأيتام . كان هذا الغزو الذي جرف أجيالاً من الأمة ، ويكفيها هنا أن نذكر بعض الأمثلة .

طه حسين الذي درس في الأزهر ففشل في دراسته ، وذهب إلى فرنسا ، وعاد من فرنسا بشهادة الدكتوراة من

جامعة (السوربون) وعاد بزوجة فرنسية ، وعاد كما يقول يفكر بالفرنسية ، ويكتب بالعربية ، وينصب من خلال مراكز التأثير الفكري « عميد للأدب العربي » . وتنشأ أجيالنا جيلاً بعد جيل وهي تردد عميد الأدب العربي ، فهو الأستاذ ، وهو القدوة ، وهو الذي يجب أن يقتدى به . وتدرج الأجيال على طريقه وفي أثره ، ويفاجئنا بقوله : إن القرآن كتاب بشري ، من تأليف رجل فيه الصدق وفيه الكذب . ويفاجئنا بقوله : إن دعوى أن إبراهيم وإسماعيل كانا في مكة ، وأنهما جدا العرب التي قالها محمد ﷺ دعوى ليست بصحيحة ، إنما هي مناورة سياسية لكي يكسب محمد اليهود . ويفاجئنا بقوله : إن النحو العربي هو الذي عقد الحياة الثقافية ، وحال بيننا وبين طريق الرقي . والأمثلة كثيرة ، هذا كان من بدايات التغريب ، فما بالك بما حصل بعد ذلك ، والأمر ازداد سوءاً حتى وصل إلى من يحاربون الله جهاراً نهاراً ، ويعلنون الحرب على دين الله سبحانه وتعالى بشكل مكشوف .

هذه القضايا — أيها الأحبة في الله هي التي تجعل الناس يتعجبون من هذا الإقبال ، وهذه العودة إلى دين الله سبحانه وتعالى . وإلا فهي كما ذكرنا قبل قليل هي الأمر الطبيعي الذي

تحدث عنه كتاب الله وسنة نبيه ، وأكدته السوابق التاريخية في حياة أمتنا .

مظاهر الصحوة الإسلامية المعاصرة :

وهذا الإقبال الذي يسر له قلب كل مؤمن ، ويرغم به — بإذن الله — أنف كل من يعادي هذا الدين ، ويحاد الله ورسوله ، له مظاهر شتى في حياتنا المعاصرة ، نحاول أن نذكر بعضها ذكراً ، ثم بعد ذلك نتجاوز إلى أهم أسبابه ، ثم أتحدث عن بعض الضوابط التي أرى أنها ضرورية من وجهة نظري لهذا الإقبال وهذه العودة وهذه الصحوة إلى دين الله سبحانه وتعالى .

من هذه الظواهر :

١ - انتشار الكتاب والشريط الإسلامي ، فالمعارض — معارض الكتب التي تقام في كل مكان — أصبح الرواج فيها — والحمد لله — للكتاب الإسلامي ، بعد أن كان الدين في نظر كثير من الناس مقصوراً على كبار السن البعيدين عن القراءة وعن العلم والثقافة والمتابعة . وإذا به — والحمد

لله — أصبح يستوعب أهم الطبقات المثقفة ، والتي بلغت أعلى الدرجات العلمية في الأمة المسلمة . وهذه الطبقات هي الطبقات التي تقود الأمم .

الطبقات المثقفة ، الطبقات المتعلمة ، الطبقات المستنيرة هي التي تقود الأمم . فإذا أصبح أهل الثقافة من رصيد الحق والإسلام والهدى فهذا — بإذن الله — مؤثر ومبشر بأن الأمة في طريقها إلى استعادة أمجادها ، والعيش في ظل دينها ، كما عاش أسلافها .

٢ - كذلك من مظاهر هذا الإقبال وهذه العودة :

قيام المراكز والجمعيات الإسلامية في شتى بقاع الدنيا ، لقد تجاوزت أرض المسلمين ، وانتشرت في بلاد الكفر — والحمد لله — كانت البعثات إلى أوروبا وأمريكا والغرب عموماً وسيلة من وسائل مسخ الناس عن دينهم ، وإذا بنا — والحمد لله — نرى كثيراً من أجيالنا يذهبون إلى الغرب ويعودون وقد ازدادوا تمسكاً وحرصاً وإصراراً على دينهم ، بفضل الله سبحانه أولاً ثم من خلال هذه المراكز وهذه الجمعيات التي انتظمت الكرة الأرضية من شرقها إلى غربها .

أيها الأحبة : المقام لا يتسع للتفصيل كثيراً في الجهود التي بذلت ضد الإسلام والمسلمين . الجهود الجبارة الهائلة التي تقف وراءها أحلاف دولية ، ومنظمات عالمية ، وقوى رهيبة ، تقف ضد الإسلام ، ونحن عندما نرى هذه الجهود الهائلة والإمكانات العظيمة ثم نرى النتائج العكسية نعلم أن ذلك تحقيق لوعده الله سبحانه وتعالى .

كنت أقرأ قبل يومين في إحدى المجلات الإسلامية وثيقة تنشر من أحد مراكز الأبحاث في أمريكا أو في فرنسا وتقول : « إن أمريكا وروسيا قد فشلت في مواجهة التيار الإسلامي في العالم ، وأنهم يشعرون أن هذا التيار هو العدو الرئيس لهم ، وهو الذي يكتسح الساحة أمامهم » المسلمون لا يملكون القوى الذرية ، ولا يملكون القنابل النيتروجينية ، ولا الأسلحة الكيماوية ، ولا القذائف الجرثومية ، لكن بشيء من العودة إلى دين الله سبحانه وتعالى أصبحت هذه القوى كلها تشعر بالعجز أمام المسلمين الصادقين .

٣ - كذلك أيها الأحبة — من هذه المظاهر ، مظاهر هذا الإقبال وهذه العودة وهذه الصحوة : السعي الجاد لتطبيق

شرع الله في الأرض ، فبعد أن ظن أعداء الإسلام أنهم قد قضاوا على الإسلام في أكثر بقاع الدنيا — وإن بقي ففي بعض النفوس المنزوية في بعض زوايا المساجد — وإذا بالشعوب المسلمة في أماكن شتى من هذه الأرض تعلن محاولات جادة مرة بعد أخرى من أجل تطبيق شريعة الله في هذه الأرض ، وما محاولات المسلمين في الباكستان وفي السودان ، ومطالباتهم في أماكن كثيرة إلا ردّ عملي على الموقف الذي وقفه النبي في القدس ، في نهاية الحرب العالمية الأولى ، عندما أشار الصليبيون القومية العربية ، والقومية التركية ، ومزقوا المسلمين شر ممزق ، وجعلوا التركي يقتل العربي ، والعربي يقتل التركي ، ويقود جيوش الأتراك النصارى الألمان ، ويقود جيوش العرب النصارى الإنجليز ، وعندما دخل النبي القدس منتصراً على الأتراك قال (اليوم انتهت الحروب الصليبية) وعندما دخل غورو الفرنسي دمشق ذهب إلى قبر صلاح الدين وقال : « ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين مرة أخرى » أقول إن هذه النداءات بإذن الله هي الرد العملي الحقيقي على أولئك الناس الذين ظنوا أنهم قضاوا على أمة الإسلام وعلى الإسلام .

٤ - كذلك أيها الأحبة — من مظاهر هذه

الصحوة : قيام جهاد في بقاع شتى يرفع راية « لا إله إلا الله » فبعد أن ألف المسلمون زمناً ودهراً أن القتال من أجل الوطن ، ومن أجل الجنس ، ومن أجل القومية ، ومن أجل الأرض ، وإذا بنا نرى شعباً فقيراً حافياً عارياً جائعاً متخلفاً بمقاييس الناس علمياً وحضارياً — في أفغانستان — يواجه من أصبح يطلق عليهم في العالم المعاصر (القوة العظمى) لو قيل لنا قبل هذا الجهاد المبارك أن المسلمين لو اجتمعوا قاطبة — في وضعهم الحالي — سيواجهون روسيا أو أمريكا لقليل هذا غير ممكن ، هذا مستحيل . ما هو عذر العرب في مواجهة إسرائيل في أرض فلسطين ؟ أمريكا التي تحاربنا وليست إسرائيل . ردها بعض حكام العرب في أجهزة الإعلام . وليس الأمر بسر يقولون : نحن نقاتل إسرائيل لكن أما أن تتدخل أمريكا فنحن لا نستطيع أن نقاتل أمريكا . وإذا بهذه الفئة المؤمنة القليلة بمقاييس البشر ، الكثيرة بمقاييس الإيمان ، تقلب المعادلة ، وتغير المفاهيم ، وتعلن أن المؤمن الذي وقف في سالف الدهر أمام فارس والروم يمكن أن يقف مرة أخرى أمام روسيا وأمريكا ، ويذلها ويرغمها ويعلن أن لا إله إلا الله ، أعلى من كل شيء ، وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . وتأتي صورة

أخرى أشد عجباً ، داخل فلسطين ، عندما تخرج فئات من المؤمنين لا تملك السلاح البسيط الذي هزم به الأفغان الشيوعية إنما تملك حجراً . وقد بذلت ما تستطيع ، وتردد معه (الله أكبر الله أكبر ولا إله إلا الله) فيرتعد العالم كله ، ويعلن العالم كله استعدادهم لحضور المؤتمر الدولي ، الذي كان العرب قبل ذلك يستجدون العالم لحضوره ، ويرفض العالم أن يحضر هذا المؤتمر ، وأن يقيم هذا المؤتمر . كلها من أجل أن الحجر صاحبه (الله أكبر لا إله إلا الله) هذه مظاهر من العودة إلى دين الله سبحانه وتعالى .

٥ - كذلك من هذه المظاهر : هذه الأجيال التي نراها - والحمد لله - في كل مكان من هذه الأرض التي لا تعرف غير الإسلام ، ولا ترضى بغير الإسلام . كفرت بكل الشعارات ، وكل المبادئ ، وكل النظريات الإلحادية والأرضية التي ظللت البشر واستعبدتهم ، وتعلن أن ولاءها لله وحده ، وأن قائدها محمد ﷺ ، تعمل بالإسلام في حياتها ، وتعمل للإسلام في حياتها ، فليس لها من وظيفة ، وليس لها من مهمة إلا العمل بهذا الدين ، والعمل لهذا الدين .

٦ - ثم مظهر آخر : حين جاء الناس في الغرب إلى دين خرافي محرف ^(١) ، وبدأت بوادر النهضة العلمية في العلوم الطبيعية والمادية المعاصرة ، وقع الصدام بين الدين الخرافي المحرف وبين هذا العلم ، وانتصر في النهاية العلم ، وقضى على الكنيسة وعلى دينها ، وجاء كثير من الناس وأرادوا أن ينقلوا التجربة إلى بلاد المسلمين ، وما علموا أن ديننا غير الدين الذين كان في بلاد الغرب . إنه دين لا يحض على العلم فقط بل يوجه ويفرضه على أتباعه فرضاً ، وأمرنا به في أول سورة ، وأول آية ، وأول كلمة نزلت على نبينا ﷺ ، فجاءوا لكي يقيسوا قياساً فاسداً يختلف فيه الأصل عن الفرع في العلة ، وبالتالي سيختلف الحكم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره من حيث ظن الأعداء أنهم سيصيبون في الإسلام مقتلاً . وإذا بكثير من أصحاب التخصصات العلمية النادرة ، سواء في ديار المسلمين أو في غير ديار المسلمين يعودون إلى دين الله سبحانه وتعالى ، ويفيئون إلى دين الله ، ويعلنون أن هذا الدين هو المنهج الحق الذي توصلوا إليه بعد طول عناء ، وبعد طول مشقة ، وبعد طول بحث واستقصاء .

(١) أي النصرانية التي اخترعتها المجامع الكنسية .

٧ - كذلك من هذه المظاهر : عودة حجاب المرأة

المسلمة بعد أن ضللت في كثير من بلاد المسلمين ، في بدايات هذا القرن ، فمثلاً : عندما كان الاحتلال الإنجليزي لبلاد مصر ، خرجت مجموعة من النساء في تظاهرة ضد الاستعمار ، وبعد أن اجتمعن في مكان في القاهرة ، ومندوبوا الصحف حاضرون لمشاهدة أول مرة يخرج النساء يتظاهرن ضد الاستعمار ، وإذا بهؤلاء النساء يخلعن الخمر من على رؤسهن ويلقن بها تحت أقدامهن .

في البداية كانت المتظاهرة ضد الاستعمار ، وتحولت في النهاية ثورة على الحجاب الإسلامي ، وضللت المرأة المسلمة بدعوى تحريرها ، بدعوى تكريمها ، بدعوى فكها من الأسر والأغلال — كما يزعمون — وتاهت أجيال من نساء المسلمين في كثير من البلدان وراء هذه الدعاوي الفاجرة الضالة ، التي تريد أن تحول المرأة إلى سلعة يروج بها اليهود لفسادهم في هذه الأرض ، بعد ذلك نرى الفتيات المؤمنات يلتزمن بالحجاب الإسلامي مظهرأ من مظاهر التزامهن بدين الله ، ويحاربن في كثير من الجامعات ، في كثير من ديار الإسلام ، ويعلن استعدادهن للتخلي عن الدراسة ، بل عن الحياة كلها ، ولن

يتخلين عن شرف المرأة المسلمة (الحجاب الإسلامي) .

٨ - أيها الأحبة : إن امتلاء المساجد بالشباب المسلم في كل مكان — مثلما هو حاصل في هذه الليلة المباركة — هو مظهر ، ورد عملي حقيقي على كل من ينكر هذه العودة وهذا الإقبال وهذه الصحوة الإسلامية الصادقة بإذن الله سبحانه وتعالى ، ولو أردنا أن نستقصي لطال بنا الحديث .

٩ - محاولة إقامة نماذج عصرية لكثير من المؤسسات والنظم الإسلامية مثل محاولة : إقامة مؤسسات اقتصادية تطبق الاقتصاد الإسلامي ، ومثل : محاولة أسلمت كثير من العلوم في أكثر من موقع وفي أكثر من جامعة ، هذه كلها — والحمد لله — أمور تؤكد لنا وجود هذا الإقبال ، ووجود هذه الصحوة ، ووجود هذه العودة إلى دين الله سبحانه وتعالى . ونقول بعد ذلك لمن ينكر هذه الحقيقة ويئس الأجيال المسلمة التي هي في حاجة إلى من يشد أزرها ويشد على عضدها ويفتح أمامهم الآمال ، نقول لمن يئسهم بعد ذلك ويصر على أن ليس هناك صحوة :

وهل يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

أهباب الصحوة الإسلامية :

أما أسباب هذه العودة فهي كثيرة لكنها في نظري
تنحصر في ثلاثة أسباب رئيسية :

١ - أنها تحقيق لوعده الله سبحانه وتعالى بحفظ دينه
الذي سبقت الإشارة إليه ونضيف بعض الآيات التي يقول فيها
سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ ﴾ (١) . هذا الوعد الإلهي - أيها
الأحبة - لن تستطيع أن تقف أمامه قوى الأرض كلها ، بل
سيحققه الله سبحانه وتعالى كما قال النبي ﷺ (بعز عزيز
أو بذل ذليل) (٢) وعد إلهي رباني ، يقطعه ويحدثنا عنه
ويخبرنا به من يقلب الليل والنهار ، ويقدر الأقدار ، من يده
الملك وهو على كل شيء قدير .

وسمعنا الآيات التي كنا نتلوها قبل قليل التي تؤكد لنا
هذا الأمر . كذلك يقول النبي ﷺ (يبعث الله لهذه الأمة

(١) غافر : ٥١ .

(٢) أحمد ١٠٢/٤ .

على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها (^(١)) . هذا تأكيد على ما دلت عليه الآيات السابقة .

إذاً — أيها الأحبة — فالإقبال على دين الله ، أو العودة إلى دين الله ، أو ما اصطلح على تسميته بالصحة الإسلامية : هو سنة كونية ربانية ، وأمر قدرى إلهي لا يغالب ، وهذا — والحمد لله — ما يشد أزر الأجيال المؤمنة المسلمة .

إن القضية ليست قضيتنا وحدنا ، بل هي قضية رب العالمين أولاً وأخيراً ، وإنما نحن أدوات لتنفيذ أقدار الله ، وإنما نعمل رغبة وطمعاً في تحقيق الأجر الذي وعد الله به العالمين لدينه ، وإسقاطاً لتبعة الإثم والوزر الذي توعد الله به من لا يعملون لدينه سبحانه وتعالى . هذا الأمر الأول .

٢ - السبب الثاني : هو أن الإسلام يمثل في حقيقته الاستجابة الحقيقية للفطرة الإنسانية ، والانسجام الكامل مع قوانين الكون كله ، فالبعد عنه شذوذ ، والعودة له أمر طبيعي . أيها الأحبة : إن كل ما في هذا الكون يسبح

(١) أبو داود الملاحم ١ .

الله ويعبد الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (١) . والذي يشذ عن هذه القاعدة العريضة الواسعة هم عصاة الإنس والجن في بعض مجالات حياتهم ، يشذون هذا الشذوذ فيصبحون في صراع مع فطرتهم التي فطرهم الله سبحانه وتعالى عليها (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يمجسانه أو يهودانه أو ينصرانه) (٢) ولم يقل أو يمسلمانه ، لأنه هو الفطرة التي تحدث عنها في بداية الحديث . فالإنسان عندما يعود إلى دين الله فرداً أو جماعة ، قليلاً أو كثيراً فإنما يستجيب لأمر فطري فطره الله سبحانه وتعالى عليه ، وإنما يتسق مع كل ما في هذا الكون الفسيح ، مما يسبح الله ، ويعبد الله سبحانه وتعالى . وحين يتعد عن منهج الله يقع في الشقاء وفي الضنك الذي تحدث عنه الحق سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً - مَعِيشَةً فِي الدُّنْيَا - وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾ (٣) .

(١) الإسراء : ٤٤ .

(٢) البخاري الجنائز ٨٠ .

(٣) طه : ١٢٤ .

٣ - الأمر الثالث أو السبب الثالث :

الذي أرى أنه من الأسباب التي أقبل الناس بها على دين الله هو : أن أمتنا جربت جميع الأفكار والمبادئ المستوردة ، وأن هذه الأفكار والمبادئ المستوردة لم تنجني منها إلا التمزق والشتات ، والضياع والخسران ، بل إن هذه الأفكار ثبت فشلها في منابتها التي نبتت فيها ثم صُدّرت إلينا منها . فروسيا تعلن تخليها عن الشيوعية ، وهذا الغرب تلهث مجتمعاته يمينا ويساراً تبحث عن النجاة ، وعن الخروج من الشقاء الذي وصل إليه الإنسان في ذلك المكان . وماذا جنت أمتنا من دعاوي القومية ؟ وماذا جنت من دعاوي الاشتراكية ؟ وماذا جنت من دعاوي الحرية ؟ لقد ذهبت الأرض ، وفقد العِرضُ ، وزاد الفقر في الشعوب المسلمة في شرق الدنيا وغربها ، ولم يعد هناك إلا العودة الصادقة إلى دين الله سبحانه وتعالى . هذه في نظري أهم ثلاثة أسباب في الإقبال والعودة إلى دين الله .

تُهمّ توجه إلى الصحوة من أعدائها :

أيها الأحبة ، قبل أن أتحدث عن بعض الضوابط هناك

قضية أحب أن أشير إليها إشارة موجزة ، وهي أننا مع عودة الناس إلى دين الله ، ومع إقبالهم على دين الله ، أصبحنا نسمع في بقاع شتى من الأرض التهم التي تطلق على هذه الأجيال العائدة إلى الله سبحانه وتعالى فمن يصفهم بالرجعيين ، ومن يصفهم بالأصوليين ، ومن يصفهم بالمتطرفين ، ونحن لن نخدع بإذن الله للذين يطلقون هذه الشعارات ويصفون بها من يلتزم بدين الله سبحانه وتعالى .

ولو أردنا أن نفتش عن هو وراء هذه الشعارات لرأينا إما اليهود ، وإما النصارى ، وإما الذين تتلمذوا على موائد اليهود أو النصارى أو الشيوعيين في بلاد المسلمين ، نعم تتلمذوا عليهم ، ويرددون أفكارهم ، فمثلاً يأتي كاتب أو صحفي علماني أو شيوعي ، ثم يعلن نفسه مفتياً في دين الله فيقول : هذا متطرف ، وهذا ليس بمتطرف ، وهذا رجعي ، وهذا غير رجعي ، أمر مرفوض ، ولا يمكن أن تنطلي هذه الألاعيب على الأمة المسلمة . وأشير إلى مقالة أعجبتني قبل شهرين ، قرأتها في مجلة الإمامة . لرجل لم أعرفه ، لكنني أحبيته عندما قرأت هذه المقالة ، اسمه الدكتور وليد الطويرقي ، تحدث عن هذه القضية حديثاً رائعاً يقول : هل يأتي مثل أنيس

منصور الماسوني ، أو نجيب محفوظ العلماني ، أو ذاك الشيوعي
فيردد : إن الشباب المسلم الذين يعلنون العودة الصادقة إلى دين
الله ، ويذبلون أوقاتهم كلها لرفع دين الله ، ويريدون أن يرفعوا
وطأة التغريب والتجهيل عن أمتنا فيسميهم الرجعيين والمتطرفين
والأصوليين وما إلى ذلك من النعوت ، ويتلقفها صحفيو
وكتاب المسلمين في كل مكان ، يرددونها بدون وعي منهم .
أقول أيها الأحبة هذا أمر خطير يجب أن نتنبه له وألا نقع فيه .

ضوابط يحافظ بها على الصحة :

أما بعض الضوابط التي استطعت أن أجمعها ، وأحببت
أن أسديها نصحاً لإخواني أجيال هذه الأمة العائدة إلى دين الله
سبحانه وتعالى ، ونحن لا ندعي لأنفسنا العصمة ، ويجب أن
نصحح مسيرتنا باستمرار ، وأن نقيسها على كتاب الله وسنة
رسوله ﷺ ، ونرى مقدار بعدنا أو قربنا عنها ، وأهم هذه
الضوابط في نظري هي :

الضابط الأول : إنارة دروب الصحة الإسلامية
بالفقه الشرعي :

أيها الأحبة ، لا يكفي أن تكون صحتنا وعودتنا عودة
عواطف متأججة ، العواطف والحماس لأمر الإسلام عبادة
يؤجر عليها الإنسان ، لكن ليس بالحماس وحده
ولا بالعواطف وحدها يمكن أن نحمل دين الله في هذه
الأرض ، إننا أمة يقوم دينها على العلم والدليل والبرهان ،
فيجب أيها الأحبة في الله أن ننير دروب طريقنا بالفقه الشرعي
في دين الله سبحانه وتعالى ، ونتذكر قوله ﷺ (من يرد الله
به خيراً يفقهه في الدين) ^(١) ونعلم أن هذا الدين قائم على
الاتباع لا على الابتداع ، وقائم على العلم لا على العواطف ،
ولا أريد أن أطيل حتى أنتقل إلى هذه الضوابط ضابطاً
ضابطاً . ويكون هذا الفقه من خلال العودة للمنابع الأولى :
الكتاب والسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة . الله سبحانه
وتعالى يحدثنا عن أن الهداية للمتقين هي في كتابه الكريم
﴿ اَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَاتٌ فِي هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٢)

ثم وصف سبحانه أولئك المتقين . ويقول ﷺ (تركتكم على

(١) البخاري العلم ١٠ .

(٢) البقرة : ١٠١ ، ٢٠١ .

مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك (^(١)) .
ونردد مع الفاروق رضي الله عنه وأرضاه تلك المقولة (لن
يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) .

إذا أيها الأحبة في الله ، نحن في حاجة إلى أن نعود إلى
تلك المنابع ، منها نستمد التصورات ، منها نستمد العقائد ،
منها نتعلم العبادات والأخلاق والسلوك ونظم الحياة وكل شيء
نحتاجه في حياتنا ، نعود فيه إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ،
وقد تكفل الله لنا بكمال هذا الدين .

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت
لكم الإسلام ديناً ﴾ (^(٢)) .

الضابط الثاني : هو : أننا في إعدادنا لأنفسنا
وأجيالنا وشبابنا وأمتنا لابد أن نربط الدنيا بالآخرة ، من خلال
تربية إيمانية صادقة ، وأهم الوسائل في ذلك ، بعد الأمرين
اللذين ذكرتهما قبل قليل ، هو أن تحيا نماذج الإيمان ليقنتدي
بها نماذج الحق ، تحيا في واقع أمتنا مرة أخرى ، نركز عليها

(١) ابن ماجه المقدمة ٦ .

(٢) المائدة : ٣ .

في إعلامنا وفي تعليمنا ، وفي منتدياتنا وفي نوادينا ، وفي مساجدنا ، نجعل أطفالنا وشبابنا ورجالنا ذكورنا ونسائنا يعلمون كل تفاصيل حياة أولئك السلف الصالح ، مثل أبي بكر ، مثل عمر ، مثل عثمان ، مثل علي ، مثل خالد ، مثل سعد ، مثل من جاء بعدهم .

أيها الأحبة :

إننا في حاجة أن نقدم لأمتنا نماذج يقتدى بها ، غير النماذج التي ألفت الأمة في هذا الزمان سماع سيرها وحياتها ، وتذكر قصة النبي ﷺ في ليلة بيعة العقبة ، كيف كان يعد أصحابه ، وعلى ماذا كان يربيههم ، عندما قالوا له : يا رسول الله ، إن نحن وفينا لك ببيعتنا — وفي رواية من ضمن هذه الروايات قالوا : يا رسول الله ، إن نحن وفينا لك فقتل الرجال ويتم الأطفال ورملت النساء وذهبت الأموال ورمتنا العرب عن قوس واحدة فما لنا يا رسول الله ؟ فيقول : (إن وفيتم فلکم الجنة) .

هذه هي التربية الإيمانية الصادقة التي تنشيء أجيالاً مؤمنة . لا تربطهم بأهداف دنيوية محدودة ، قد تتحقق على

أيديهم وقد لا يكتب الله ذلك ، وليست هذه هي غاية المؤمن . أما كان يقول ربعي بن عامر عندما كان يهدده رستم بالقتل : إن هي إلا إحدى الحسين النصر أو الشهادة ، والشهادة أحب إلى أنفسنا ؟ أما يصف الله المؤمنين فيقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآبٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾ ^(١) إذن أيها الأحبة ، نحن بحاجة إلى أن نربط كل شيء في هذه الحياة بالآخرة ، بالجنة ، ومن أراد أن يعمر الدنيا من غير طريق الآخرة فقد حاول محالاً ، ولن يؤدي ذلك إلا إلى خراب الدنيا وضياع الآخرة ، أعاذنا الله وإياكم من ذلك .

الضابط الثالث : أيضاً أيها الأحبة ، من أهم الضوابط التي يجب أن تعيها الأجيال المؤمنة : إدراكها وفقهاها لسنن الله في الكون والنفس والمجتمع ، إن الله سبحانه وتعالى جعل سنن كونية يجري عليها أمر هذا الكون ، وأمر هذه الحياة ، وإن الله سبحانه وتعالى كلفنا بأن نسير في الآفاق ، وأن نكتشف هذه السنن ، وأن نعمل على ضوئها ، وأن نسخرها لدين الله ، محمد ﷺ ، أشرف الخلق ، وأحبهم إلى

(١) التوبة : ١١١ .

الله سبحانه وتعالى عندما حصل التفريط من بعض أصحابه في موقعة أحد كان ما كان كما تعلمون ، فليس معنى أننا مؤمنون ، وأننا مقبلون على الله ، وأننا عائدون إلى الله سبحانه وتعالى أن نبطل عالم الأسباب ، وأن نبطل السنن الكونية التي أودعها الله في هذا الكون ، بل يجب أن نكون أكثر فقهاً وإدراكاً لها من أعداء الإسلام ، لأننا نستضيء في معرفتها بنور الله سبحانه وتعالى .

الضابط الرابع : كذلك أيها الأحبة ، من أهم الأمور : معرفة العصر واستيعاب الواقع ، كثير من حملة رسالة الإسلام — مع الأسف الشديد — يعلمون كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، أو يعلمون شيئاً من ذلك ، لكنهم يعيشون في غير عصرهم ، ولا يستوعبون الواقع الذي يعيشون فيه فتضطّر الحياة أن تجري بعيداً عنهم ، وتضطّر البشرية أن تبحث عن غيرهم ، والنبي ﷺ سيرته أعظم دليل لنا على هذه القضية ، أليس هو الذي حين اشتد الضغط على أصحابه في مكة أمرهم بالهجرة إلى الحبشة ، والحبشة وراء البحار البعيدة أمة غير الأمة التي عاش فيها ، ولغة غير اللغة ، ولون غير اللون ، ودين غير الدين ؟ ومع ذلك كان يعلم واقع تلك

الأمة ، ويعلم أنها من بين الأمم التي تحيط بأرض الجزيرة ، فيها ملك لا يظلم عنده أحد — هذا هو الاستيعاب الذي يعيشه في عصره ﷺ ، وللمعرفة الدقيقة بذلك العصر وجه أصحابه هناك — كذلك مراسلته للملوك بعد غزوة الحديبية ، ومخاطبته كل ملك بخطاب خاص ، يعلم من دقائق أمر ذلك الملك وتلك البلاد ما لا تشاركه فيه البلاد الأخرى ، أما كان ﷺ في موقعة بدر ، وهذا دليل على معرفته بالناس الذين يعيشون حوله ، وعلى القوى التي تتحرك على هذه الأرض من أجل أن يواجه أهل الباطل ، ومن أجل أن يقود أهل الحق إلى دين الله ، فيقول : « إن يكن في القوم خير فني صاحب الجمل الأحمر » ألف رجل من قريش فيعلمهم ﷺ واحداً واحداً ويقول : « إن كان فيهم خير فني ذلك الرجل فقط » ؟

إذاً أيها الأحبة ، لا بد أن نعرف عصرنا ، وأن نستوعب واقعنا ، وأن ندرك ما هي القوى والأفكار والنظريات والعلوم التي تدور في هذه الحياة ، من أجل أن نستغل ما كان صالحاً فيها لخدمة دين الله ، ومن أجل أن نقف عن علم وبصيرة أمام ما كان ضالاً فيها — يتحدث الإمام ابن القيم رحمه الله عن قوله سبحانه : ﴿ وَكَذَلِكَ نَقْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ

الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ (١) فيقول إن الناس على أربعة أقسام : قسم استبانوا سبيل المؤمنين ، واستبان لهم سبيل المجرمين فأمروا بهذا عن بينة وحضوا عليه ، ونهوا عن هذا ووقفوا ضده عن بينة .

وقسم : عرفوا سبيل المؤمنين ، ولم يعرفوا سبيل المجرمين ، فهؤلاء كما يقول : أهل أن يدعوا إلى ما عرفوا من سبيل المؤمنين ، لكنهم ليسوا مؤهلين إلى أن يقفوا ضد سبيل المجرمين لأنهم لا يعرفونه ، والحكم على شيء والوقوف عليه فرع عن تصوره — كما تقول القاعدة الأصولية .

وقسم ثالث : لا يعرفون سبيل المؤمنين ، ولا يعرفون سبيل المجرمين ، وهم أشبه بالأنعام كما قال — أتباع كل ناعق .

وقسم رابع : الذين يعرفون سبيل المجرمين ، ولم يعرفوا سبيل المؤمنين ، وهم المفسدون في الأرض .

إذا أيها الأحبة ، لا بد أن نكون على دراية بواقعنا الذي نعيشه ، وبعصرنا .

الضابط الخامس : كذلك من أهم الأمور التي يجب

(١) الأنعام : ٥٥ .

أن يلتفت إليها المسلمون : إثراء جميع جوانب الحياة بالحق والهدى .

أيها الأحبة : إن الله كلفنا أن نوصل دينه إلى جميع جوانب الحياة ، ولا يجوز للأمة المسلمة أن تلتفت إلى جانب من جوانب الحياة فقط وتهمل الجوانب الأخرى ، وتجعلها في أيدي أعداء دين الله سبحانه وتعالى .

إنني أعتب على بعض الشباب المسلم الذي أراه يدرس أربع سنوات أو خمس سنوات ثم يترك الدراسة ويأتي ويقول : أريد أن أتخصص في العلوم الشرعية . إنني أعلم أن الأمة المسلمة غزيت من جانب الطب ، ولم تغزى من جانب الشرع هذه حقيقة . لماذا لا يكون المؤمن الصادق الملتزم بدينه طبيباً ومهندساً ، وضابطاً ومفتياً ، ووزيراً وأميراً ، ومديراً ومعلماً ؟ لابد أن يصل دين الله إلى جميع جوانب هذه الحياة . وعندما تقرأون تراجم أصحاب النبي ﷺ ، ترون من كان فيهم حداداً ، ومن كان جزاراً ، ومن كان تاجراً ، ومن كان سائساً للمخيل ، ومن كان راعياً للإبل ، ومن كان فلاحاً ، كانوا في جميع جنبات الحياة . لكن الجميع كان يجمعهم أمر واحد ،

هو : الدعوة إلى دين الله ، والجهاد في سبيل الله ، وحمل راية لا إله إلا الله .

الضابط السادس : أيضاً من أهم الأمور التي يجب أن نتنبه لها : الحكمة في الدعوة إلى دين الله سبحانه وتعالى . إن الله سبحانه وتعالى جعل الحكمة في تبليغ دينه جزءاً من هذا الدين ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ مَنْ رُسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (١) إذاً من مهام النبي ﷺ ، ومن معالم رسالته التي جاء بها لهذه الحياة : أن يعلمنا الحكمة في حمل هذا الدين ، كما علمنا هذا الدين ، فمن تعلم الدين وحازه علماً وثقافة في قلبه وعقله ورأسه ولم يتعلم طريقة تبليغ هذا الدين والدعوة إليه فقد بقي فيه جزء من الضلال الذي تحدث عنه الآية . يقول المفسرون عندما يتحدثون عن معنى قوله تعالى : (ويعلمهم الحكمة) قالوا : الحكمة هي سنة النبي ﷺ ، هي سيرة النبي ﷺ ، بمعنى هي طريقته في نقل هذا الدين ، وأسلوبه في تبليغ هذه الرسالة إلى الناس جميعاً .

(١) الجمعة : ٢ .

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (١) . إذاً لا يكفي أن أدعو إلى الله ، بل لابد من شرط آخر ، وهو أن تكون دعوتي إلى الله سبحانه وتعالى على بصيرة . لابد كما أخبرت عائشة عن النبي ﷺ « ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، ولا نزع من شيء إلا شانه » (٢) . الحكمة أن توضع الأمور في مواضعها . نحن دعاة إلى أعظم مبدأ وأقوم سبيل ، فلا نكون بأساليبنا الخاطئة ممن يصرفون الناس عن دين الله .

أيها الأحبة : ليست وظيفتنا أن نحمل الدين إلى أنفسنا فقط ، ولا إلى مجتمعنا هذا فقط ، بل نحن مكلفين تكليفاً ربانياً بأن نحمل هذا الدين للبشرية كلها في جنات الأرض كلها ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٣) . فلا بد أيها الأحبة في الله أن نتحلى بالحكمة ونحن نعرض دين الله سبحانه وتعالى ولا أريد أن أطيل في هذه النقطة برغم أنها تستحق الإطالة .

(١) يوسف : ١٠٨ .

(٢) أبو داود إلهاد ١ .

(٣) آل عمران : ١١٠ .

الضابط السابع : أيضا من هذه الأمور ومن هذه الضوابط : أن نقدم الأصول على الفروع ، والأهم على المهم ، وألا نخلط بين الثوابت والمتغيرات ، أو بين الوسائل والغايات .

أيها الأحبة : إن هذا الدين كله قام على أمرين هما : جلب المنصالح وتكثيرها ، ودرء المفاسد وتقليلها ، وكثير من الناس لعدم الفقه في دين الله — الذي تحدثنا عنه قبل قليل — لا يدركون هذه القاعدة المهمة ، التي هي جماع أمر الدين كله ، لذلك يقول علماؤنا عليهم رحمة الله : (إذا تعارضت مصلحتان ، ليس أمامك إلا أن تهدر إحدى هاتين المصلحتين ، فالواجب عليك وجوباً شرعياً أن تهدر المصلحة الصغرى من أجل تحصيل المصلحة الكبرى) أمر غريب . يقول بعض الناس أمر شرعي ، مصلحة شرعية ، كيف أهدرها ؟ من أجل تحقيق أمر أعظم منها مصلحة شرعية كبرى . لذلك يقول علماؤنا : من شروط إنكارك للمنكر ، أن لا يؤدي إنكارك إلى الوقوع في منكر آخر أو إلى الوقوع في مفسدة أكبر .

إذاً لا بد أن نرتب الأمور كما رتبها دين الله ، وأن نعطي كل أمر من الأهمية بمقدار ما أعطاه الله سبحانه وتعالى .

فمثلا : الأخوة بين المؤمنين كما سئرى بعد قليل ، هذه الأخوة من المعلوم من الدين بالضرورة . كثير من الناس يُهْدِرُ هذا الأمر الواجب من أجل أمر مسنون مندوب . صحيح أمر شرعي لكنه مسنون ومندوب من أجله يهدر الواجب .

الضابط الثامن : هذا الأمر الثامن هو معرفة حقوق الأخوة الإيمانية ومراعاة أدب الخلاف بين المؤمنين . يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ^(١) ويقول النبي ﷺ في يوم عرفة (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا) ^(٢) . وهناك أمور جعل الله فيها سعة ، وجعل في الخلاف فيها بين المؤمنين سعة ، ووقع الخلاف بين أصحاب النبي ﷺ في مثل هذه القضايا ، فلا يجوز لنا — أيها الأحبة — أن نهدر الأخوة الإيمانية التي هي من ضروريات الدين .

يقول الشاطبي عليه رحمة الله : بالأخوة والائتلاف

(١) الحجرات : ١٠ .

(٢) البخاري العلم ٩ .

والتعاون يحفظ الدين ، وبالتفرق والتخاصم والتناذب والتدابير
يضاع الدين ، وحفظ الدين أول مقاصد هذا التشريع . وجعل
الله للاختلاف بين المسلمين — الاختلاف السائغ ، جعل له —
آداباً ، فالنبي ﷺ عندما قال لأصحابه (من كان سامعاً
مطيعاً — في غزوة الخندق — فلا يصلين العصر إلا في بني
قريظة) (٢) .

فأدركهم وقت الصلاة في الطريق ، بعد الحصار
الطويل ، وقد غابوا رضي الله عنهم عن أزواجهم وأموالهم ،
وعن أولادهم ، وكانوا لا يخرجون للخلاء حتى يستأذنوا النبي
ﷺ ، بسبب شدة طاعتهم لله ، وحين انفض العدو سارخ
كل منهم إلى أهله فبلغهم النداء وقد تفاوتوا في عوالي المدينة
وأطرافها ، فأدرك وقت الصلاة بعضهم في الطريق فقالوا :
ما أراد النبي ﷺ منا أن تؤخر الصلاة ، إنما أراد استعجالنا
فلنصلي . وقال بعضهم الآخر : نحن لا نخالف أمر النبي
ﷺ ، ولا نصلي إلا في بني قريظة . فصلى بعضهم في الطريق
وصلى بعضهم في بني قريظة بعد غروب الشمس . يقول الإمام

(٢) قصة بني قريظة في البخاري المغازي ٣٠ .

ابن قيم الجوزية : لم ينكر النبي ﷺ على هؤلاء ولم ينكر على هؤلاء . هذه الحادثة لو وقعت بين المسلمين في زمننا هذا لسالت من أجلها الدماء ، وسلت من أجلها السيوف .

أين نحن من هذا الأدب الرباني العظيم الرفيع ، الذي يعلمنا به النبي ﷺ ، بل وقع الخلاف بعد ذلك بين أصحاب النبي ﷺ وكانوا يتناظرون ، وكان بعضهم يرد على بعض ، وكان بعضهم يبين لبعض ، وكان بعضهم يناقش بعضاً وكان بعضهم يحاور بعضاً ، لكن ما كانوا يهدرون هذه الأخوة الإيمانية التي بدونها لن نحفظ ديننا ، ولن نحفظ أنفسنا ، ولن نحفظ ذواتنا وإن أعلى وأعظم ما يطمع فيه أعداء الإسلام هو أن يكفي المسلمون الأعداء بعضهم في بعض بالمخاصمة والمدابرة والمقاتلة .

إن الله سبحانه وتعالى جعل التعاون بين المؤمنين واجباً .
أما يقول سبحانه : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ ^(١) إن التعاون على الإثم والعدوان محرم ، والتعاون على البر والتقوى واجب شرعي . إذا التقصير

(١) المائدة : ٢ .

في التعاون على أمر الله ، وعلى حمل دين الله ، وعلى التكاتف في ذلك يوقع الإنسان في الإثم والمعصية ، لأنه خالف أمراً أوجبه الله سبحانه وتعالى ؛ فلا بد أن نكون كما ذكر النبي ﷺ : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد) ^(١) . وكما وصفهم الله سبحانه وتعالى :

﴿ كَانَهُمْ بُلَيْنٌ مُّزْصُوصٌ ﴾ ^(٢) .

إذاً لابد أن يكون هذا الأدب الإيماني الذي كان بين أسلافنا رضي الله عنهم وعليهم رحمة الله أن يكون ظاهراً في مجتمعات العودة إلى الله سبحانه وتعالى .

الضابط التاسع : الأمر الأخير أيها الأحبة الذي يجب أن أشير إليه ، والذي قد يفرط البعض فيه أو يقصر هو : أن نعتد التخطيط العلمي الدقيق لأمر الدعوة إلى الله تعالى . هذا الأمر قد يستغربه البعض ، ويقول : كيف نخطط لأمر الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ؟ لكنني أتحدث عن هذا من عدة جوانب :

(١) البخاري الأدب ٢٧ .

(٢) الصف : ٤ .

الجانب الأول : نحن لأُمور دنيانا نخطط أعظم التخطيط ، فالإنسان إذا أراد أن يني بيتاً ، يذهب إلى أفضل المهندسين تخطيطاً وتنفيذاً ، ويجلب أفضل المواد ، ويحدد قبل أن يبدأ التنفيذ مكان الشمعة ، هذه ومكان مفتاح هذه الشمعة ، ومكان الثلاجة ، ومكان المجلس ، ومكان المكتبة ، بل الإنسان منا إذا أراد أن يشتري ثوباً يخطط لهذا الثوب ، أريد طوله كذا ، وعرضه كذا ، فهل دين الله سبحانه وتعالى أهون على أنفسنا من أمر ثيابنا أو بيوتنا التي نبنيها ؟ هذا أمر .

الجانب الثاني : أن الله سبحانه وتعالى جعل أمر هذه الحياة لا يقوم إلا على التخطيط ، والمسلمون يريدون أن يعيدوا هذه الحياة لدين الله سبحانه وتعالى ، فليسلوكوا الطريق الذي سنه الله سبحانه وتعالى في الحياة لكي ينجحوا في الوصول إلى هذه الغاية .

الجانب الثالث : أن التخطيط سنة نبينا ﷺ ، وخذوا الهجرة مثلاً على ما نقول ، فالنبي ﷺ عندما هاجر أصحابه ، ثم انطلق مع أبي بكر رضي الله عنه ، ترك علياً في فراشه لكي يؤدي عنه الودائع ، ولكي يوهم القوم الذين كانوا

يحيطون بداره أنه لازال ﷺ في الدار فتقول عائشة رضي الله عنها ، دخل علينا في ساعة ما كان يدخل علينا فيها ، وتقول دخل من مكان ما كان يدخل منه . والمدينة في شمال مكة ففتح النبي ﷺ مع أبي بكر إلى جنوب مكة ، إلى غار ثور والنبي ﷺ وأبو بكر يكلفان عبد الله بن أبي بكر أن يأتيهم بأخبار القوم في الليل ، ويكلفان أسماء بأن تأتيهم بالطعام ، ويكلفان الراعي أن يمر بالغنم على آثار عبد الله وأسماء حتى يخفيها عن القوم ، وتجهز الرواحل وينطلقون عليها من طريق غير مسلوک ، أليست هذه أدلة قطعية على وجود التخطيط في أمر الدعوة إلى الله تعالى سبحانه وتعالى ؟ كذلك أيها الأحبة ، قول النبي ﷺ عندما يقول له الحباب بن المنذر : يا رسول الله ، أهو منزل أنزلك إياه الله ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ أي إن كانت القضية قضية وحي إلهي ، هذا معنى كلام الحباب فليس لنا إلا أن نقول سمعنا وأطعنا ، أما إذا كانت القضية أن الله كلفنا بالأمر ، وجعل إلينا أمر التنفيذ ، جعل لنا الحرية في ذلك والرأي ، فيقول النبي ﷺ : (بل هو الرأي والحرب والمكيدة) فيقول : يا رسول الله ، أرى أن نغور المياه ، ونكون على أدنى ماء من القوم فنبني عليه حوضاً ، ثم

نجعل فيه ماء فنشرب ولا يشرب القوم . أليس هذا هو التخطيط ؟

أيها الأحبة ، أليس النبي ﷺ كما اتفق جميع أهل السير ، كان إذا خرج إلى غزوة ورى بغيرها ؟ أليس هذا هو التخطيط الذي نسميه في زمننا تخطيطاً ؟ إذاً أقول أيها الأحبة ، يجب على المعنيين بالدعوة إلى الله ، وكل مسلم معني بالدعوة إلى الله بحسبه أن يخططوا لأمر هذه الأمة المسلمة ، وأن يبدلوا الجهد في ذلك .

هذه أيها الأحبة في نظري باختصار شديد : أهم ضوابط العودة والإقبال إلى الله سبحانه وتعالى ، أو ضوابط الصحوة الإسلامية المعاصرة في نظري .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عوض بن محمد القرني

الفهرس

الصفحة

الموضوع

٥	مقدمة الكتاب
٨	حديث القرآن عن الصحوة
١٨	حديث التاريخ عن الصحوة
٣٠	مظاهر الصحوة المعاصرة — من هذه المظاهر
٣٠	١ - انتشار الكتاب والشريط الإسلامي
٣١	٢ - قيام المراكز والجمعيات الإسلامية
٣٢	٣ - تطبيق شرع الله في الأرض
٣٣	٤ - جهاد في بقاع شتى يرفع راية « لا إله إلا الله »
٣٥	٥ - الأجيال المسلمة
٣٦	٦ - عودة اصحاب التخصصات العلمية إلى الإسلام
٣٧	٧ - عودة حجاب المرأة المسلمة
٣٨	٨ - امتلاء المساجد بالشباب المسلم
٣٨	٩ - محاولة إقامة نماذج عصرية لكثير من المؤسسات
٣٩	أسباب الصحوة الإسلامية
٣٩	١ - تحقيق وعد الله سبحانه وتعالى بحفظ دينه
٤٠	٢ - الاستجابة الحقيقية للفتنة الإنسانية

٤٢	٣ - المبادئ المستوردة لم نجنى منها إلا التمزق
٤٢	مهم توجه إلى الصحوة من أعدائها
٤٤	ضوابط يحافظ بها على الصحوة
٤٤	الضابط الأول إنارة دروب الصحوة بالفقه الشرعي
٤٦	الضابط الثاني ربط الدنيا بالآخرة
٤٨	الضابط الثالث سنن الله في الكون والنفس والمجتمع
٤٩	الضابط الرابع معرفة العصر وإستيعاب الواقع
٥٢	الضابط الخامس اثرء جميع جوانب الحياة بالحق والهدى
٥٣	الضابط السادس الحكمة في الدعوة إلى الله
٥٥	الضابط السابع تقديم الأصول على الفروع والأهم على المهم
٥٦	الضابط الثامن معرفة حقوق الإخوة ومراعاة أدب الخلاف
	الضابط التاسع التخطيط العلمي الدقيق لأمر الدعوة إلى الله
٥٩	

